غزليات عيسى ألبي أبي بكر من سباعياته

أ. د موسى عبد السلام مصطفى أبيكن *

د. شيخ أحمد بن عبد السلام

تاريخ تقديم البحث: ٢٠١٩/١٠/٧م. تاريخ قبول البحث: ٢٠٢٠/٢/٢٧م.

ملخص

تناول هذا البحث غزليات عيسى ألبي أبي بكر من ديوانه الموسوم بـــ" السباعيات" . بدأ بالبيان الوجيز عن الشعر العربي النيجيري واتجاهاته في العصر الحديث، ثم دار بنا الفلك إلى ديوانه عامةً، وسباعياته بشكل خاص. بعد ذلك، وقفنا على غزلياته وحللناها تحليلًا أدبيًا. يهدف البحث إلى تقدير جهود أحد شعراء نيجيريا البارزين في مضمار الشعر العربي عامةً، وفي الغزل بصفة خاصة. والمنهج المتبع استقرائي، وقد توصل البحث إلى أن باب الغزل، أصبح معروفاً ومعترفاً به بين أوساط أدباء نيجيريا اليوم، بينما كان في الماضي خامل الذكر، غير مستقل كفن، لأن شعراء نيجيريا تفادوا فنّ الغزل في دواوينهم خشية الاشتهار به، وقد تطرق إليه الشاعر بما لا يقل عن عشر قصائد في بنات أفكاره.

الكلمات الدالة: غزليات، سباعيات، الشعر العربي، نيجيريا، اتجاهات، ديوان.

* قسم الدراسات العربية الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ولاية كوغي، أينبا، نيجيريا.

حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة. الكرك، الأردن.

Erotics by Isa Alabi Abubakar from his Seventh Verses

Prof. Dr. Musa Abdussalam Mustafa Abikan
Prof. Shehu Ahmad bin Abdussalam

Abstract

The research focuses on erotic poem by Isa Alabi Abubakar in his anthology named As-subaiyyat. It begins with a short explanation of Nigerian Arabic Poetry. It also dwells on the anthology of the poet generally and his As-subaiyyat in particular. Thereafter, we choose some of his poems and analyze them literarily. The aim of the research is to appreciate the contribution made by one of the outstanding Nigerian Arabic poets. The method used is investigative. The findings reveal that the erotic poem has become an independent, recognized and known theme among the circle of Nigerian Arabic literature of today. In justifying our position and stance, examples from his anthology named As-subaiyyat were examined for illustration.

Keywords: Erotica, As-subaiyyat, Arabic poetry, Trends. Anthology

المقدمة:

إن من أغراض الشعر الشائعة عند شعراء نيجيريا، ولا سيما الشباب منهم، التغزل بالفتيات، فقلما يخلو هذا الغرض من دواوينهم، يقصد به الشاعر محبوبته على طراز شعراء العرب القدامى، ولكنه من نسيج الغزل العذري، لا من الصريح البذيء، بل عبارة عن الحديث الذي تتملكه الشهوة، وتستبدّ به الصبوة، فيصوّر الشاعر محاسن وأخلاق معشوقته بصفات، لا تخرجه عن تعاليم الإسلام ومناحيه.

مشكلة الدراسة:

نتجت مشكلة الدراسة عن نفور شعراء نيجيريا عن هذا الغرض من الشعر، نظرًا إلى طبيعته، فقام الباحثان بمعالجة هذه المشكلة بالدراسة، والتنقيب، والسبب من إعراض كثيرٍ من الباحثين والشعراء النيجيريين عن هذا النوع من الأدب هو خشيتهم من العار والفحش.

هدف البحث:

سعى هذا البحث إلى تقدير جهود أحد شعراء نيجيريا البارزين في مضمار الشعر العربي عامةً، وفي باب الغزل بصفةٍ خاصةٍ، بالإضافة إلى الذين شاركوا، وساهموا في تطوير وتشهير هذا الباب من أبواب الشعر، بكافة اتجاهاته وماحيه.

الدراسات السابقة:

لقد راجع هذا البحث، عديدًا من المقالات، والكتب، والدواوين التي دونها الباحثون قبلنا، ولها اتصال مباشر بهذا الموضوع، ولعل أشهرها: مقالة بعنوان:

١- الغزل في الشعر العربي النيجيري بين التجديد والمحاكاة للأستاذ الدكتور موسى عبد السلام مصطفى أبيكن، نشرتها مجلة القسم العربي بجامعة بنجاب، لاهور، باكستان، ٢٠١٦م، والبحث عام بالغزل الذي تطرق إليه شعراء نيجيريا، من قدامى ومحدثين. أما هذا البحث فسينظر إلى غزليات سباعيات كديوان مستقلٍ قائمٍ بذاته.

٢-ومن الكتب التي اعتمد عليها الباحثان، كتاب بعنوان: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا للأستاذ الدكتور شيخو أحمد سعيد غلادنثي، نال المؤلف بهذا الكتاب، درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها من جامعة القاهرة، عام ١٩٧٥م، استقى الباحثان من هذا الكتاب الزوايا التاريخية للغزل بالمنطقة، وأكبر شعراء نيجيريا الذين أدلوا بدلوهم في هذا المجال، وسيتميز بحثنا عن كتابه، أننا اقتصرنا على شاعرٍ واحدٍ دون غيره من معاصريه.

٣- ومن الكتب التي راجعها الباحثان الكتاب الموسوم بـ "محمد البخاري بن عثمان بن فودي وشخصيته الأدبية للأستاذ الدكتور غرب طن ظوهو زاريا". والكتاب مفيد جدّا، نظرًا إلى أن الكتاب تناول بعض القصائد التي قالها محمد البخاري في الغزل، والبواعث الدافعة إلى قولها، والاشتهار به من بقية أغراض الشعر. اتفق القصد من هذه الناحية، وإن كان بحثنا سيقتصر على سباعيات الشاعر دون بقيته من قصائده.

٤-ومن الكتب التي استفاد منها الباحثان "الثقافة العربية في نيجيريا" للدكتور علي أبو بكر، لقد عالج هذا الكتاب فيما يمس بتاريخ الثقافة العربية، وأهم أغراض الشعر التي قالها أدباء نيجيريا من ١٧٥٠-١٩٦٠م. أما مقالتنا ستركز على فن الغزل، ولا سيما من الشعراء الغزليين، ويتناول بالذات، السباعيات منه.

٥- ومن الدواوين التي راجعها الباحثان، ديوان الشاعر نفسه، بعنوان: "الرياض" للأستاذ الدكتور عيسى ألبي أبي بكر، لقد تطرق الشاعر إلى أبواب الشعر كلها، بما فيها الغزل، ولكن باب الغزل في الديوان، لم يقتصر على سبعة أبيات كسباعيته، وإنما تجاوزت أبياته إلى خمسة عشر بيتًا من القصائد الواردة فيه.

٦- ومن الكتاب المعتمد عليه كتاب بعنوان: "الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام"، كتبه الأستاذ عبد الحميد محمود المسلوت. وقد استفاد الباحثان من هذا الكتاب الجم الغفير، خصوصًا بنماذج من الغزل الذي قاله شعراء العرب، من جاهلية وإسلام، وخاصة الغزل منه، والمقارنة بين غزل أولئك، وهذا الشاعر، إضافة إلى كتب أخرى تمس بهذا الموضوع، هذا غيض من فيض.

المنهج:

أما المنهج الرئيس المتبع في بيان القصائد الواردة من هذا البحث فاستقرائي.

الشعر العربي النيجيري:

يعد الشعر في نظر العلماء ظاهرة حضارية عريقة منذ القدم، اهتدى إليها الإنسان بإحساسه العميق المرهف، لأن الشعر صفة مميزة للبشر عن بقية المخلوقات تشير إلى رقيٍّ في التكوين، وسموٍّ في التفكير. فهو إحساس ذكي بالواقع يرتبط بباقي الفنون الجميلة، وبوجه خاص، بفن الموسيقى والغناء وما يتصل بهما، من ناحية، وكما يتصل بعبقرية اللغة وتطورها من ناحية ثانية[١].

(١) الصالحي، عزمي محمد شفيق وآخرون، **الثقافة الأدبية**، ط٣، مطبعة وزارة التربية، بغداد، ١٩٨٤م، ص١٨.

وليس الشعر وزنًا وقافيةً فحسب كما يخيل للدارس أول وهلة، وإن كان الوزن والقافية عنصرين أساسين في تأليفه وتكوينه، وإنما الشعر مزيج بمواد أخرى، وخامات عديدة في بنائه حتى يخرج في الصيغة المقبولة إلى درجة أن القدماء بالغوا في أسرار صنعته حتى جعلوه وحياً أو إلهاماً يتلقاه الشاعر من عالم الغيب عن طريق جنيّ أو شيطان. وهذا المعتقد، يستوي فيه العرب وغيرهم من أمم الأرض، كأنهم اتفقوا جميعاً على التسليم به [١].

إن اللغة العربية في نيجيريا لم تكن إلا لغة ثانية بمعنى أنها هي لغة الدين، ولغة الثقافة الدينية للمسلمين، يتعلمها المسلمون، فالشاعر النيجيري، إما أن يكون شاعراً مطبوعاً فيقرض الشعر بلغته المحلية أولاً، ثم يتثقف ثقافةً عربيةً إسلاميةً، وتجيش عواطفه ومشاعره بعد ذلك، فيقرض شعرًا باللغة العربية، لأن الأدب بالنسبة له وسيلةٌ لا غايةٌ[٢]. إن العلماء في نيجيريا هم الذين قاموا بدور الشعراء، لأنهم هم وحدهم الذين استطاعوا أن يجيدوا اللغة العربية، ويتذوقوا سحرَها وبلاغتَها، ويتخذوها أداة للتعبير عن مشاعرهم، وينظموا الشعر كما نظمه شعراء العرب وأدباؤها[٣].

فالعلماء في نيجيريا، هم الأدباء، وهم قادة الفكر، وهم الذين يقومون بتدريس الدين، واللغة، والأدب، وإلقاء المحاضرات أمام الخواص والعوام. وليس هناك فرقٌ عندهم بين التعليم العربي والإسلامي. إذ الفنون كلُّها تهدف إلى غاية واحدة وهي الإسلام، فهدفهم الرئيس في التعليم كله هو أن يتفقهوا في الدين، لأنهم كانوا يريدون أن يحيوا حياةً دينيةً، فتعليم اللغة العربية ليس هي الغاية في ذاته، وإنما هو وسيلة لفهم الإسلام. لذلك، عكف العلماء على تعليم اللغة العربية، وتعلموها، لغةً وأدباً، وألفوا بها كتباً كثيرةً في شتى الفنون[٤].

وكان من بين العلماء نفرٌ مالوا بطبيعتهم إلى الأدب، فدرسوا ما وصل إليهم من كتب الأدب دراسةً وافيةً، وجعلوا يتذوقونه، ويستلذونه، ويحاولون محاكاته، ولكنهم في كل ذلك، لم يكونوا يدرسون الأدب بوصفه مستقلاً بنفسه، بل على أنه جزءٌ من تلك الثقافة الدينية التي يهدفون إليها، وذلك لأن

(١) المرجع نفسه، ص١٨.

(٢) غلادنثي، شيخو أحمد سعيد، **حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا**، ط٣، شركة العيكبان للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص١٠٣ .

(٣) أبو بكر، علي، **الثقافة العربية في نيجيريا من ١٧٥٠- ١٩٦٠م**، ط١، مؤسسة عبد الحفيظ-البساط، بيروت، ١٩٧٢م، ص١٤٧ .

(٤) أبيكن، موسى عبد السلام مصطفى، "مشكلات اللغة العربية في نيجيريا"، **مجلة الفيصل الثقافية**، المجلد (٤)، العددان، (٤-٣)، ٢٠٠٨م، ص٢٩٦.

لغتهم لم تكن العربية، ولكن تمسكهم بالدين، كان يدفعهم إلى تعلّمها، وإتقانها، ثم جعلهم الشعور بالإتقان يلتمسون الانتماء إليها عن طريق التأليف الأدبي (١).

وبالرغم من أن هؤلاء العلماء قد استخدموا معظم بحور الشعر العربي، إلا أن الأبواب التي خاضوا في غمارها لا تتجاوز الأغراض الآتية غالباً، الثناء على الله، والمديح، والوصف، والرثاء، والوعظ والإرشاد، والحكم والأمثال، والمناظرة، والشعر الصوفي، وشعر الدعوات والتوسلات، والشعر التعليمي، والغزل (٢).

الغزل في الشعر العربي:

أكثر أشعار العرب، وأروع قصائدهم، وأبرع آثارهم يتصل بالمرأة، ويصف حسنها، ويشيد بجمالها، ويعلن الفرح بقربها، والألم والحزن على بعدها، ويذكر تأثيرها على النفس، وما تجود به من وصل، أو توزعه على صراعاها من دلالٍ، وصدٍ، ومن ازدراء وهجران(٣) كانت المرأة العربية ذات تأثير ساحر على عقل الرجل وقلبه، وعواطفه، يقتحم الصعاب، ويخوض الغمرات، ويركب الأهوال من أجلها، لذلك، كان الشعراء لا يفتأون يرددون ذكرها في كل مناسبة، يفتتحون بها أشعارهم، ويقفون على أطلالها باكين، ويلمون بمنازلها متوقفين(٤).

ولقد كان من شعرائهم من يتحدث عن المرأة، بل الحديث الذي تتملكه الشهوة، وتستبد به الصبوة، فيصور محاسن جسمها من أرداف، وأعجاز، ووجه، وبطن، وعيون تشبه عيون المها، ويعمد إلى كل ما يثير العاطفة والمشاعر، فيلح عليه إلحاحاً شديدًا مثل المهلهل الذي لقب بأنه زير النساء. والأدباء دائمًا يطلقون الغزل والنسيب والتشبيب على الأشعار التي تحمل حب المرأة والحديث عن جمالها وما تثيره في القلوب من هيام، وصبوة، والتي تنطق بكل ما يتعلق بها من حب، ووصل، وصد، وهجران. والنسيب والغزل والتشبيب كلّها يهدف إلى معنى واحد، وبعضهم يفرق بين معاني هذه الألفاظ، فقدامة يقول: النسيب ذكر خلق النساء وأخلاقهن وتصرف أحوال الهوى به معهن، والفرق

(١) غلادنثي، شيخو أحمد سعيد، **حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا**، ص١٠١.
(٢) أبوبكر، علي، الثقافة **العربية في نيجيريا**، ص٣٢٧.
(٣) المسلوت، عبد الحميد محمود، **الأدب العربي بين الجاهلية والإسلامّ** ط١، الجامعة الليبية، بنغازي، ١٩٧١م، ص٢٨٤.
(٤) المرجع نفسه، ص٢٨٤.

بينهما أن الغزل هو المعنى الذي إذا اعتقده الإنسان في الصبوة إلى النساء نسب بهن من أجله، فكأن النسيب ذكر الغزل، والغزل هو التصابي والاشتهار بمودات النساء [١].

ويراد بالتشبيب ما يقصد إليه الشاعر من ذكر المرأة في مطالع الكلام، وما يضاف إلى ذلك من ذكر الرسوم، ومساءلة الأطلال، وهذه الألفاظ أصبحت كلها تحمل معنى واحدًا وهو الحديث عن المرأة وما يتصل بها[٢].

بداية فن الغزل في نيجيريا:

لم يكن فن الغزل في القرن التاسع عشر الميلادي فنًّا مطروقاً لدى العلماء والأدباء في نيجيريا إلا في نطاق محدود جدًّا، والقليل الذي نظم ليس إلا محاكاة لهذا الفن[٣]. والسبب في قلته أن العلماء تفادوه خشية الاشتهار به، والإدلاء في دلوه، وعلى الرغم من ذلك، فقد وجدنا شذرات من أبيات محمد بلّو[٤] في كتابه "إفادة الطالبين" حيث يقول متغزلاً:

وَبَيْضَاءَ خَوْدٍ زَانَهَا عطْلُ الجِـــــيدِ إِذَا مَا تَحَلَّتْ غَيْرُها بِالْعَنَاقِيْـــــدِ[٥]

يَطِيـــــبُ شَذَاهَا وَهْيَ لِلطِّيْبِ فَارِكٌ إِذَا عَطِرَتْ أَتَرَابُهَا بِالزَّرَاوِيـــــدِ[٦]

فَيَحْلُو بِأَلْوَانِ الْحَدِيثِ كَلاَمُهَـــــــا إِذَا أَفْصَحَتْ في نُطْقِها لَسَنُ الْغِيدِ

كأنَّ ليالِي الدَّهْرِ أَيَّامَ وَصْلِهَـــــــا وحسنُ سواها بالْخمائلِ والسُّـــــودِ

تَسَلَّيت عن أترابِها بِوِصَالِهـــــــا وَأَخْدَمْتُهَا حُسْنًا لِنَظْمِ الْأَنَاشِيـــــدِ[٧]

(١) المرجع نفسه، ص٢٨٤.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٨٦.

(٣) غلادنثي، شيخو أحمد سعيد، **حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا**، ص١٦٥.

(٤) نجل الشيخ عثمان بن فودي، وأول أمير المؤمنين في نيجيريا. تولّى الخلافة بعد أبيه عثمان، له ما يزيد عن سبعين مؤلفًا في مختلف العلوم العربية والإسلامية.

(٥) محمد بلّو بن عثمان بن فودي، **إفادة الطالبين**، مخطوط، ص٦٧. والمعنى أن هذه الغادة لا تحتاج إلى حلية في حين أن غيرها تحتاج إليها.

(٦) الشذا: قوة الرائحة. والمعنى فمع أنها تكره الطيب، ولا تستعمله، فإن رائحته طيبة جدًّا.

(٧) والقصيدة من بحر الطويل.

انشغل العلماء عن الغزل بالوعظ والإرشاد، فلذلك، لا نرى في إنشادهم غزلاً كثيراً، والقليل الذي أنشدوه لايعطي صورةً كاملةً لما نستطيع أن نسميه بالغزل النيجيري [١] ويظهر أثر الصنعة، والتكلف. فالأبيات المذكورة لم تنظم إلا حبًّا لتقليد هذا الفن، فليست إذاً، إلا غزلاً صناعيًّا خاليًّا من الاحساس الشعري، والشعور النفسي الحقيقي[٢] ومن الذين خاضوا في هذا الغمار، فتجرأ في القول فيه، ليعتبه من يعتب، ويعذره من يعذره محمد البخاري بن الشيخ عثمان بن فودي[٣]، نراه في نونيته قائلاً:

فَجَعَتْكِ أُمُّ الْفَضْلِ بِالْهِجْـــــــــرَانِ فَبَقِيتُ بَيْنَ النَّاسِ كَالسُّكْـرَانِ[٤]
وَكَأَنَّ فِي قَلْبِي وَجَوْفِي جَمْـــــــرةٌ مُذْ بَعُدَتْتِي مِنْ جَنَاهَا الدَّانِـــي
قَامَتْ تَرَاءَى فِي الْقُصُورِ بِفاحِـــــمٍ رجل ومقلةُ شَادنِ ظَمـــــآنِ
وَبِجِيدِ مُغزلةٍ، وَسَاقَ خدلـــــــــةٍ وَتَرَائِب كالدُّرِ والْمَرْجَـــــــانِ

وقد نجد في بعض الغزليات أن الشاعر أو الناظم لا يخرج عن الطريقة التقليدية القديمة، فيشبه حبيبته بالظبية والمها إلى غير ذلك، ويستعمل ألفاظًا كثر ترديدها في أفواه الشعراء القدامى، ونجد هذا خصوصاً عندما يكون الناظم متكلفًا، ومحاكيًا للقدماء، فلا يستطيع أن يتخلص من معاني القدماء، وتشبيهاتهم وأوصافهم[٥] ولعل بعض هذه الخصائص، تظهر في هذه الأبيات:

ظَبْيَةٌ بَلَ مَهَا رَاحَةُ الشَّـــارِبِ جِيْدُهَا لَحْظُهَا ظَلَمُهَا[٦] الشَّاهِـــدُ [٧]
باسم أَخْمَصُ أَحْدبُ خاصـــب ثَغْرُها بَطْنُها وَجْهُهَا الْواعِـــــــدُ
بانه زَهْرَةُ أَبْهَرُ اللاَّعِـــــــبِ سَاقُها لَوْنُهَا رِيْحُها الْقَائِـــــــــدُ
لَيِّنٌ أَبْيَضُ مُفْعِمٌ كَاعِـــــبٌ جِسْمُهَا جِلْدُهَا ثَدْيُهَا النَّاهِـــــــدُ

(١) غلادنثي، شيخو أحمد سعيد، حركة **اللغة العربية وآدابها في نيجيريا**، ص١٢٨.
(٢) المرجع نفسه، ١٢٨.
(٣) هو محمد البخاري بن الشيخ عثمان، ولد في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، عام ١٧٩٤م، وتوفي ١٨٧٩م، وله تآليف عديدة في الأدب وفي الشعر.
(٤) طن ظوهو، غرب زاريا، **محمد البخاري بن الشيخ عثمان بن فودي وشخصيته الأدبية**، ط١، شركة غسكيا، زاريا، نيجيريا، ٢٠٠٢م، ص١١١– ١١٢.
(٥) غلادنثي، شيخو أحمد سعيد، **حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا**، ص١٢٧.
(٦) الظلم: ماء الأسنان وبريقها.
(٧) وهي للشيخ محمود غومي، وهو من كبار علماء نيجيريا. والقصيدة من بحر المتدارك.

نلاحظ من الأبيات السابقة أنها خالية من الغلو بأوصاف النساء، وجملة ما فيها عبارة عن إظهار شوق العاشق بالمعشوقة، وذكر الغرام الذي يقاسيه لمحبوبته بصفة إجمالية. ومن الجدير بالإشارة أن الأبيات مصوغة بطريقةٍ جديدةٍ، التزم فيها الشاعر قافيتين، أحدهما الباء، وهي آخر الشطر الأول، والثانية وهي الدال، في آخر الشطر الثاني.

فمعظم غزليات البخاري وأمثاله، كانت تسير على النمط القديم الذي سار عليه شعراء العرب الجاهليون والإسلاميون، وهو النسيج الذي يجعل المرأة جسداً يشتهى، فيجد القلب لذة الحس، وسعادة الشعور، ومتعة من متع العيش[١] جملة القول: إنه يستمد معاني غزلياته، وصفات صاحباته من معاني أشعار العرب الجاهلية.

لقد أوتي البخاري ملكة شعرية، وحس مرهف، وذوق سليم، وخيال خصب، وكان حر التفكير، فيّاضًا في نظمه، فاستطاع بذلك أن يصور عاطفته الوجدانية في أشعاره بألفاظ سهلة، وتعبير رقيق، ومعان بارزة سواء في الغزل أم غيره. وصفوة القول: إنه يستمد معانيه من غزليات الشعراء السابقين، وينتقي من صفات صاحباته بوجه أخص من أشعار العرب المشهورين بالفن. فحريٌّ بنا أن نتساءل في هذا المنطلق، ما هي الدواعي التي أثرت في نفوس ذوي النفوذ في المجتمع على أن يتخذوا النسيب والتشبيب ديدنهم وهم ممن يشار إليهم بالبنان في مضمار الفضل؟ والبيئة تمج هذا الصنيع!

وقد أجاب على ذلك الأستاذ الدكتور غرب طن ظوهو[٢] بنقاط منها:

١- لما تأمل محمد البخاري فن الغزل، وجد فيه أن العاطفة الغزلية، والميل إلى الجنس اللطيف منوطٌ بسكوليوجية الإنسان، فاستدرك أن للمرأة أهمية كبرى في المجتمع يحسن العناية بها. ثم نظر إلى جانبه، فوجد أن علماء عصره، يترفّعون عن ذكر النساء في أشعارهم، فأراد أن يلفت أنظارهم إلى أهميتها، فنظّم جُلَّ قصائده مفتتحة بالغزل[٣].

٢- أو أنه سلك هذا المسلك ليجتذب العقول والأذهان لتصغي إليه، وليتمتع السامع بهذا الذكر الجميل الفاتن، من صفات الحسان، فأتى بألفاظٍ عذابٍ ساذجةٍ في حد ذاتها تعبر عن مفهومه، وتترك صورة فتاة فاتنة أو علمًا بأن الغزل تعبير عن تصوير أحاسيس الحب، وتجسيد صورة للمحبوبة

(١) طن ظوهو، غرب زاريا، **محمد البخاري بن الشيخ عثمان بن فودي وشخصيته الأدبية**، ص١١٢ .

(٢) وهو الأستاذ الدكتور، ورئيس قسم اللغة العربية بجامعة أحمد بلّو، زاريا، له مؤلفات عديدة، تدور معظمها في الأدب العربي والمسرحية وغيرهما، زاده الله الصحة والعافية في خدمة اللغة العربية والإسلام.

(٣) طن ظوهو، غرب زاريا، **محمد البخاري بن الشيخ عثمان بن فودي**، ص١١٤.

التي تبقى أمام السامع قائمة[١] وقد صار الغزل سمةً بين شعراء عصره، حيث يصوّر عاطفته الوجدانية صراحةً، ولعل السر في ذلك أنه لاحظ انصراف العلماء عن الغزل فأراد أن يلفت أنظارهم نحو دور تقوم به النساء في كل مجتمع. أيا كان من الأمر، فنفوس الرجال دائمًا تتعلق بحب الجمال، فاعتبروا المرآة هي الخصوبة الوحيدة التي تستطيع أن تنجب وتقنع شهواتهم. ولكن العالم الذي اشتهر بالفن، أو شهّر الفن به هو محمد البخاري.

اتجاهات الشعر العربي النيجيري الحديث:

لقد اتجه الشعر العربي النيجيري في هذا القرن إلى اتجاهات أخرى، وقد شرب شعراء هذا العصر من مياه الثقافة المعاصرة من وجوه شتى، أهمها: اتصال نيجيريا بالدول الخارجية خصوصًا البلدان العربية، ومن الاكتشافات الجديدة الحديثة، المرئية منها والمسموعة، بالإضافة إلى الدواوين الحديثة التي أنتجتها قرائح الشعراء العرب، ووصلت إلى نيجيريا بعد صدورها، وأهمها: الشعر السياسي، والاجتماعي، والحماسي، والهجاء، والغزل[٢] فالغزل المعنيّ هنا هو الغزل العفيف على شاكلة بائية عيسى ألبي أبي بكر في وصف الهوى، وألم الحب بالنساء:

أَلْحُبُّ نَـــارٌ خُبُوُّهَا[٣] صَعْـــبُ يُحِسُّهَا كُلُّ لَحْظَةٍ قَـلْـبُ [٤]
عَرَفْتُـــهُ وَالْحَيَـــاةُ نَاعِمَـــــةٌ يَسِـــيْرُ وَالْعُودُ لَيِّنٌ رَطِـبُ
حَاوَلْـــتُ نِسْـــيَانَهُ فَأَرَّقَنِـــــي خَيَالُـــــهُ تَرْكُ مِثْلِهِ كَـذْبُ
مَنْ عَرَفَ الْحُبَّ كَيْفَ يَعْتِبُـــنِي؟ وَاللهِ مِنْ شِيْمَةِ الْـوَرَى الْعَتْبُ
مَنْ ذَاقَ نَـــارَ الْغَرَامِ يَعْـــذِرُنِي لَوْمُ مُعَنىً مُدَلَّهٍ ذَنْـــبُ [٥]
وَسَوْرَةُ الْحُبِّ لَا يُهَدِّ ثُهَـــــــا إِلَّا كَـــــلَامٌ مُحَبَّبٌ عَـــذْبُ
الْحُبُّ دَاءٌ يُدِيْمُهُ النَّظَـــــــــرُ كَـذَا الْحَدِيْثُ الْجَمِيْلُ وَالْقُرْبُ

(١) المرجع نفسه، ص١٦.
(٢) أبيكن، موسى عبد السلام مصطفى، "اللغة العربية في نيجيريا بين الأمس واليوم"، **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، العدد (٨١)، ٢٠١١م، ص٢٥٨-٢٥٩.
(٣) الخبو: الخمد.
(٤) أبوبكر، عيسى ألبي، **السباعيات**، ط١، النهار للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٩٢.
(٥) المعنّى والمدلّه: المكلف ما يشق عليه، والساهي القلب، الذاهب العقل من عشق.

فقد ذاع باب الغزل ذيوعًا كبيرًا عند شعراء نيجيريا اليوم، ولاسيما لدى الشباب منهم، فقلما يخلو باب الغزل من دواوينهم، يقصد به الشاعر محبوبته، على طراز شعراء العرب القدامى، ولكنه من نسيج العذري الذي نشأ بين الشباب في بادية الحجاز في بني عذرة، وخزاعة غالبًا. وكان غزلهم غزلاً شريفًا نزيهاً عن الفحش، وعن الكذب على الحسان بما لا يليق بشرف الفتيات.

وقد تغيرت الحال بعضَ الشيء في باب الغزل في هذه الآونة حيث بدأ الغزل في صورته الحقيقية المعروفة في ميدان الأدب، وبدأ الشعراء يتغزلون، استجابةً لوجدانهم الشعري، وحبًّا لتسجيل تجاربهم الذاتية، من واقع الأمر حينًا، ومن سبيل التخييل أحياناً أخرى.

وفي هذه القصيدة مثلًا، تغزل الشاعر بفتاة مجهولة الاسم، رآها الشاعر فأسره حبها، فاندفع يتغنى بها، إرضاءً لهواه وغرامه، وفي ذلك يقول الدكتور عيسى ألبي أبوبكر:

رَأَيْتُهَا فَاخْتَفَى الرَّشَـــــادْ حَسْنَاءَ تُتْعِبُ بِالسُّهَـادْ [1]

لَهَا جَمَالٌ يَفُوقُ وَصْفـــًا تَخْتَالُ كَالْغُصْنِ فِي امْتِيَادِ

نَظَرْتُ مِنْهَا وَجْهـًا كَبَدْرٍ فَقَـــــامَ مِنِّي غَيُّ الْفُــؤَادِ

يَفُوحُ مِنْهَا عِطْرُ الشَّبَـابِ تَسْبُو بِسِحْرٍ مُخُّ الْعِبَـــــادِ

مَلِيْحَةٌ قَدُّهَــا رَشِيْـــــقُ لِحُسْنِهَا يَنْبَضُ الْجِسَـــــاد

وَلَحْظُهَا خَــادِعٌ مُخَاتِـلٌ لِمِثْلِهـــــا فَلْيَكُنْ مُـــــرَاد

تَصْطَادُ لَكِـنْ بِغَيْرِ فَــخٍّ وَالْفَخُّ وَانٍ فِـــي الاصِطْيَادِ

مَشَيْتُ طُولَ الْبِلَادِ لَكِـنْ لِكُفْؤِهَا يَصْعَـــــبُ ارْتِيَـاد

والحقيقة أن الشاعر لم يقصد بداليته امرأة بعينها كان يسترضيها، وإنما مجرد رؤية الحسان من النساء وإلى طبيعتهن فتلد أفكاراً تتكون منها عيون الشعر لدى أصحابه. وهذا اللون من الغزل، يخضع دائماً للقيم الخلقية، والتعاليم الإسلامية. إضافةً إلى ذلك، فإن المجتمع الإسلامي النيجيري، لا يقبل من الشعراء إنتاجًا، بذيئاً وفاحشاً ورديئًا.

(١) أبوبكر، عيسى ألبي، **الرياض**، ط١، مطبعة ألبي، إلورن، ٢٠٠٥م، ص١٨٢ .

ديوان الشاعر:

يعتبر الشعر العربي صناعةً يمارسها عيسى ألبي أبو بكر[1] حيناً إثر آخر، والشعر طبعاً موهبةٌ إلهيةٌ يهبها الله من يشاء من عباده، عربياً كان أو أعجمياً، وقد ظل الشاعر يقرض الأشعار حول حوادث تاريخية، سياسيةً كانت أو ثقافيةً بل ما من حادثة مهمة تحدث في نيجيريا وفي العالم أجمع إلا وينظم الشاعر قصيدة من أجلها، حبًّا لها أو بغضًا عليها، ألماً كان أو أملاً. وكان من الصعب على الشاعر أن يحصي تماماً ما قد ولدته قريحته منذ أن نبغ في الشعر لغزارته، وتعدّد مناحيه، وطول عهده به، لأن معظم قصائده قد ضيعته يد الزمان لعدم تقييده في سجلٍ خاصٍ، وفي وقت مبكر. وقد جمع الشاعر أشتات هذه القصائد في السنوات الأخيرة، وبالتحديد من ٢٠٠٠م، تشجيعاً له من قبل زملائه وطلابه وأساتذته بعد عقودٍ مرت على اضمحلالها وتشتتها.

(١) ولد الدكتور عيسى ألبي بمدينة كماسي الغانية لأبوين إلوريين عام ١٩٥٣م، تعلم القرآن الكريم، ومبادىء الدراسات العربية الإسلامية على أيدي مشايخ إلورن، وحصل على الشهادتين الإعدادية والتوجيهية بمركز التعليم العربي الإسلامي، أغيغى، نيجيريا. حصل على الليسانس والدكتوراه في اللغة العربية من جامعة إلورن، والدبلوم العالي في تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها من جامعة الملك سعود بالرياض. وبين ١٩٨٤– ١٩٩٤ عمل محاضرا بقسم اللغة العربية بجامعة عثمان بن فودي، صكتو، وفي عام ١٩٩٤م، انتقل إلى جامعة إلورن، حيث يعمل حاليا مدرسا للغة العربية.
يعد الدكتور عيسى ألبي فحلاً من فحول الشعر العربي النيجيري المعاصر، وفارسًا من فرسانه المتحكمين فيه، قال الشعر مذ كان يافعا، وظل مواظبا على تجويده وصقله حتى قويت شوكته، وتفجرت ينابيعه، فامتاز شعره بحسن الديباجة، وعلو البلاغة، وقوة المخيلة، والمقدرة الإبداعية النادرة. وقد نال بالشعر جوائز كثيرة، أعلاها الجائزة الأولى في المسابقة الشعرية التي نظمتها جامعة الملك سعود بالرياض ضمن فعاليات أسبوع التوعية حول مضار التدخين عام ١٩٩١م، ونشرت له مقالات أكاديمية، في المجلات الوطنية والدولية بداخل نيجيريا وبلاد العرب . وقد نال من دارسي اللغة العربية ومدرسيها ومحبي الشعر العربي – بوجه أخص – مكانة مرموقة سواء في الجامعات النيجيرية والمعاهد العليا في البلاد. لمزيد من المعلومات عن الشاعر، أنظر: الشاعر في سطور للأستاذ الدكتور مشهود محمود محمد جمبا مقرظًا على ديوان الموسوم بالرياض للدكتور عيسى ألبي أبي بكر.

يقول مفاخرًا بشعره:

بَنَاتُ ٱلْفِكْرِ أَشْعَـــارِي تَسِيْلُ بِدُونِ أَكْـدَارِ [١]
كَلاَمٌ سَدَدَ ٱلإِلْهَـــــا مُ قَائِلَهُ بِـــــلَا عَــارِ
يَشُّعُ بَيَانُهُ نُـــــــورًا يُزِيْلُ ظَـــــلاَمَ أَفْكَـارِ
يَكُونُ مَذَاقَهُ كَالشَّهْـــدِ فِي فَـــمِ فَاهِمٍ قَارِي
سَيَبْقَـــى مِنَّةَ الرَّحْمَـا نِ يُعْطِيْهَـــا لِمُخْتَـارِ
أَخِي مَا أَخْلَدَ ٱلأَسْمَـــا ءُ مِثْلَ جَمِيْلِ أَشْعَـارِ؟
أُقَدِّرُ شِـعْرِيَ السَّيَّـــا رَ يَنْقُلُ كُلَّ أَخْبَـــارِي

وفي موطن آخر، قال بعنوان: شعري طريقي:

لِلَّهِ وَالدِّينِ وَٱلإِنْسَانِ وَٱلْقَلَـــــــــمِ جُهْدِي وَسُهْدِي وَمَا أَلْقَى مِنَ ٱلأَلَمِ [٢]
مَا قِيْمَةُ ٱلْمَرْءِ يَسْعَى دُونَمَـا هَدَفٍ وَكَانَ مِنْ أَشْرَفِ الْأَعْرَابِ وَٱلْعَجَـمِ
شِعْرِي طَرِيْقِي إِلَـى ٱلْعَلْيَاءِ يَرْفَعُنِي بِهِ أُنَسِّقُ مَا يُهْدَي مِنَ ٱلْحِكَـــــمِ
هَدِيَّةُ اللهِ مَنْ يُحْفَى [٣] بِهَـا بَطَـلٌ يَصُـــولُ مُنْتَصِرًا فِي حَلْبَةِ ٱلْكَلِـمِ
يَا نَاكِراً هِبَتِي فِي الشِّعْـرِ يَحْسُدُنِي لَا يَخْلُقُ اللهُ أَقْوَامـــاً بِـلاَ عَلَـــمِ
يَا مَنْ يَرَى يَتَسَـنَّى [٤] سُـؤْدَدٌ عَبَثًا بِـــدُونِ كَدٍّ بَنَيْتَ الظَّنَ بِالتُّهَـــمِ
زِيَادَةُ ٱلْخَيْرِ بِٱلأَعْمَالِ يَتْبَعُهَـــــا حُبَّ ٱلْفَضِيْلَةِ وَٱلإِحْسَانِ وَٱلْكَـــرَمِ

(١) أبوبكر، **السباعيات**، ص٧٩.
(٢) المرجع نفسه، ص١١٤.
(٣) يحفى: يكرم
(٤) من تسنى الأمر: تهيأ .

السباعيات في الشعر العربي النيجيري:

منذ عرف الإنسان العربي عمود الشعر(١) قبل الإسلام حتى العصر الحديث، وهو لا ينفك محاولاً ومجربًا مختلف الأساليب الفنية لإضفاء سمة الحداثة على القصيدة العربية (٢) فكانت محاولات طائفة من الشعراء العباسيين، هي أقدم مساهمة في حركة التجديد ثم أعقبتها محاولات أخرى من شعراء الأندلس في فن الموشح الشعري (٣) ثم ما سمي بشعر البند (٤)

ولأبيات الشعر العربي ألقابٌ من حيث العدد والكمية، فالبيت الواحد الذي لا ثاني له "يتيم"، أو "مفرد"، والبيتان اللذان لا ثالث لهما "نتقة"، وتسمى الثلاثة إلى الستة "قطعة"، وتسمى سبعة أبيات فصاعدًا "قصيدة" (٥) فالسباعيات في تاريخ الشعر العربي النيجيري جديدة لم يعرفها أدباء نيجيريا شكلاً وتطبيقًا. فظهور سباعيات الشاعر عام ٢٠٠٨م، على يد عيسى ألبي أبي بكر فتق به رتق هذا الباب بالمنطقة. وتحتوي السباعيات من هذا الديوان، على مئة وسبعين سباعيةً، تناول الشاعر فيها العديد من قضايا الساعة، وطنيًا ودولياً، من حوادث دارفور، ويوم عرفة، وكذبة أبريل، وقضايا أخرى موروثة، من مدح، ورثاء، ووصف وغيرها من الموضوعات التقليدية.

والنظرة الحصيفة إلى هذا الديوان تكشف عن تجارب ملؤها أحداث وجدانية وعقلية، صاغها الشاعر من العقل والنفس معًا في قصائد كاملة النضج، واضحة المعالم، متميزة الخصائص، ودبّجها ديباجة عربية خالصة، تترنح لها الأعطاف حتى ليسأل القارىء نفسه، أأعجمي هو أم عربي؟ (٦).

(١) عمود الشعر هو الطريقة الموروثة في بناء القصيدة، ولغتها، ومضامينها.

(٢) الصالحي، عزمي محمد شفيق وآخرون، **الثقافة الأدبية**، ص٤٣.

(٣) الموشح: تجديد في أسلوب الشعر، ومعانيه، وأخيلته. وتعتبر بيئة الأندلس رائدةً لهذه المحاولة بسبب ما خرج منها من روائع الموشحات، وقد كان تجديد الأسلوب، منصباً على خروج الشاعر ببراعة، وإبداع على قوانين العروض، وعلى رتابة القافية الموحدة.

(٤) ضرب من الشعر عرفه العراقيون في القرن الحادي عشر الهجري، ويعتمد البند على نظام التفعيلة الموحدة أكثر من اعتماده نظام الشطرين.

(٥) الهاشمي، أحمد، **ميزان الذهب في صناعة شعر العرب**، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٥م، ص٢٣.

(٦) من تقديم قدمها الأستاذ الدكتور مشهود محمود محمد جمبا لهذا الديوان، ص٢٠.

أما الغزليات في ديوانه " السباعيات" فهو أقلّ من الموضوعات تطرقاً إليه، بل لا تتجاوز عشر قصائد من ١٧٠ قصيدة، بنى معظمها إن لم يكن كلّها على شكل من الغزل العفيف، يجد ضالته المنشودة من المعشوقات حيناً، وأحيانا أخرى ما يحزنه، ولاسيما عند الإعراض، والصد، أو الأنفة عليه.

السباعيات من غزليات عيسى ألبي أبي بكر:

وقد تشبَّب عيسى ألبي أبي بكر بعقائل من النساء تقليدًا بالغزليين العرب وغير العرب، وغزليات الشاعر لم تختص بفتاة بعينها كدأب الشعراء الجاهليين، ومن سار على منوالهم من الشعراء عبر العصور الأدبية؛ وإنما ابتنى الشاعر غرامياته على سبيل المحاكاة لا من واقع الأمر. وجملة غزلياته محدودة لأنها ليست كبقية أغراض الشعر، رواجًا وإقبالاً، وإنما نتمثل ببعض مقطوعاته في هذا الباب يقول في رائيته، بعنوان: "غادة الحيّ"

غَادَةَ ٱلْحَـــيِّ قَدْ أَثَرْتِ شُعُورِي ... بِحَدِيْثٍ مُهَذَّبٍ مَسْحُـــــورِ [١]

فَذَّةٌ أَنْتِ فِي الصَّفَاءِ فَأَذْكَيْـــــتِ ... لِـــي ٱلْوَجْدَ فِي قَرَارِ الصُّدُورِ

أَنْتِ رِيْحَـــانَةُ ٱلْعُيُونِ فَجُـــودِي ... بِقَلِيْلٍ لَـــــــدَيَّ كَٱلْمَوْفُـــــورِ

كَيْفَ لَا تَرْحَمِيْنَ خَفْقَةَ قَلْـــــبٍ ... ذَلَّ فِي ٱلْحُبِّ كَٱلْفَتَى ٱلْمَأْمُورِ

إِنَّ تَقْوَي تَأَصَّـــلَتْ هَلْ لَدَيْهَـــا ... قُوَّةُ ٱلْمَنْعِ مِنْ ذَوَاتِ ٱلْخُـــــدُورِ

لَا تَلُومِي ضَرَاعَتِي وَخُشُوعِـــــي ... وَذُهُولِي أَمَـــــامَ خَلْقٍ وَقُـــورِ

فَعَلَى الشَّاعِرِ ٱلْمُهَذَّبِ أَنْ يَسْعَى ... بِرَغْمِ الرَّقِيْبِ خَلْفَ ٱلْبُـــدُورِ [٢]

راح الشاعر يعدّد سمات النساء الجميلات، وطبيعة الكريمات النبيلات منهن بشكل خاص، فالغادة من تلجم زمامها من خبث القول، وطول اللسان، وهي تتميز من غيرها بالأخلاق الطيبة، وتهتم دائمًا بنظافتها ليقف الناس عليها هائمين، حائمين، راغبين فيها. فهذه الفتاة راق حديثها عاطفة الشاعر، فأثار حبها الكامن اتجاهها، ولم يستطيع أن يتجاهل عنها ليعيش معافى، وقد تيّمه الحب، فانقاد لشأنها، وأصبح مأموراً بعد أن كان آمراً.

(١) أبوبكر، **السباعيات**، ص١٠٤.

(٢) له دواوين لا تقل عن ثلاثة ماعدا المخطوطات من أشعاره.

أما إذا كان الحب قائماً على أسسٍ وطيدةٍ، ونابعاً من الهوى العذريِّ، فإنه سيلقى استجابةً وحسن مآب من معشوقته، وإن هي بلغ في الإحصان منتهاه أو هي من ذوات خدور. فالعاقل من يخفف عنه اللوم، ويفهم موقفه من هذه السجية النادرة. وفي سباعية أخرى، يلهج بذكر شابة جميلة تزوره في نوم، وتتستر باسمها قصداً في قوله:

وَنَوْمٍ أَتَتْنَا فِيْهِ خَوْدٌ [1] جَمِيْلَـــــةٌ وَهَلْ هِيَ فِي جَمْعِ ٱلْغَوَانِي بَخِيْلَـةٌ [2]
قَضَتْ عِنْدَنَا وَقْتًا لَذِيْذاً نُحِبُّـــــهُ وَلَكِنَّ لَحْظَاتِ ٱللِّقَــاءِ قَلِيْلـــــَـةٌ
وَكَمْ مِنْ مَنَامٍ نَبْتَغِي أَنْ نُطِيْلَــهُ فَهَلْ سَاعَةُ النُّوَّامِ صَاحِ طوِيْلَــةٌ؟
أَيَا مِثْلُ ذَاكَ الطَّيْفُ زُرْنَا وَلَاتَكُنْ لِتَبْخَلَ إِنَّ ٱلْبُخْلَ حَـالٌ رَذِيْلَـــــةٌ
سَأَلْنَا اسْمَهَا لَكِنَّهَا لَمْ تَقُلْ لَنَـــا سِوَى لَفْظِهَا ٱلْجَذَّابِ إِنِّـي خَلِيْلَــةٌ
حَكَى وَجْهُهَا بَدْرَ السَّمَاءِ كَأَنَّهَا بِلَا مِرْيَةٍ لِلْبَدْرِ حُســـنًا زَمِيْلَــةٌ
فَلَمَّا دَعَانَا فِي الصَّبَاحِ بِلَالُـهُ[3] ذَهَبْنَا إِلَيْهِ وَٱلْقُلُـــوبُ ثَقِيلَـــــةٌ

الحب كما قيل بلاء، ولا يعرف كنهها إلا من ذاقه. ولله در القائل:

لاَ يَعْرِفُ الشَّوْقَ إِلَّا مَنْ يُكَابِدُه وَلاَ الصَّبَابَةَ إِلاَّ مَنْ يُعَانِيْهَـــــــا

لقد اتجه النسيب هنا إلى الطيف تشبيهاً به لعدم قراره، وزوال متاعه كلمحة البصر بادئًا بالشكوى من المطلع أن المدة التي قضاها مع المحب العاشق قليلة، لا تروي الصدى، ولا يغني أو يسمن من جوع، أما في هذه المرة، أبت أن تذكر لمحبها اسمها، ولكن ما ينفث من فيها من محاورات لذيذة، وأحاديث جميلة، حفزته من أن يتغاضى عن سقطاتها، حفظاً لحق المودة، وهل يمكن أن يتناسى عنها وقد بلغت في الجمال غايته. اختار الشاعر كلمات سهلة واضحة المعنى، جليّة المغزى في أسلوب رقيق، لمّاع، يخلب القراء لموسيقاه العذب. ويبدو من المقطوعة السابقة، ومضات الحب، وإن كان أقلّ لوعاً واشتياقاً من المقطوعة الأولى. وفي مقطوعة أخرى، التجأ العاشق إلى ظل الصبر، لأنه أشفى من الداء، وأبقى للحب على رغم مجافات ومعاناة تكبدها من معشوقته، تعامى حينًا وإن

(١) خود: هي الشابة الناعمة الحسنة الخلق.
(٢) أبوبكر، **السباعيات**، ص٣٩.
(٣) بلال الصباح: المؤذن بصلاة الصبح.

كان ليس بأعمى، وتخارس أحيانًا أخرى وليس بأخرس، إنما تعمد ذلك، على سبيل استرضائها واستمالتها. وقديما قيل: "من خطب الحسناء لم يغلها ثمن" نرى هذه الادعاءات في الأبيات التالية:

عَلَّمَنِي حُبُّكِ أَنْ أَصْبِـترَا وَالصَّبْرُ أَمْنٌ لِفَتَى أَبْحَـرَا [١]

دُنْيَاكِ بَحْرٌ غَائِرٌ عُمْقُــهُ وَلَسْتُ أَدْرِي كُنْهَ مَــا أَضْمَرَا

لَقَدْ تَعَامَيْتُ وَمَا بِي عَمًى ثُمَّ تَخَارَسْتُ لِكَـــــيْ أَظْفَــرَا

حُبُّكِ كَنْزٌ كُلُّ مَنْ نَالَــــهُ عَـــادَ إِلَيْهِ كُلُّ مَـا أَدْبَـــــرَا

وَبَسْمَةٌ مِنْكِ تُزِيْلُ ٱلأَسَــتى مِثْلَ وَمِيْضٍ فِي الدُّجَى قَدْ سَرَى

وَغَيْمُ حُزْنٍ فِي مُحَيَّاكِ مَا يَجْعَلُ أَمْــلَاكَ السَّـــمَا حُيِّـــرَا

رِضَاكِ مَا أَسْعَى لَهُ مُتْعَبًا رُضَابُكِ ٱلْحُلْـــوُ كَفَى سُـــكَّرَا

لقد ازداد الشاعر معرفةً ما للصبر من واجبات للحصول إلى مبتغاه، وشأن الفتيات، يستلزم من طبيعته، التحلي بالحلم، والعزم ليحظ بالمطلوب، علماً منه أن القسر غير مجد، والتكبر غير معين، إذاً، فالطريق الوحيد هي التمسك بعرى الصبر الذي هو أمارةٌ من أمارات الذكاء، والفطنة للرجال، فتعامى عما يقوله الناس عنها عمداً، وإن كان ليس بأعمى حقيقةً لأن من يعرف المطلوب يحقر ما بذل على سبيله، وسيعود إليه ما ابتلي عليه بسعادة يوماً من الأيام. ثم مضى الشاعر يبيِّن الدوافع إلى السعي لها، والميل إليها، والتكلف به. وطبيعة الحال، أن من يكلف بهذه الفتاة كأنه وجد كنزاً لا يفنى، وضحكها يغني عن جوع، وبشاشتها غيم يزيل الجدب، ولا يعبأ عاشقها بنفقات تحملها من أجل الحصول إلى غايته، وما الهوى إلا طرفٌ من الجنون. وفي موضع آخر، نراه يصف حبه لها حبًا عذرياً لا داعي إلى كتمانه، لأنه يصدر من قلب صميم، فقال:

قَاطَعَتْنِي فَكَانَ صَعْباً عَلَـيَّى بِأَبِي مَنْ يَرُدُّ رُوْحِي إِلَيَّـا؟[٢]

شَاعِرُ ٱلْحُبِّ وَٱلْحَيَاةِ ضَنَـنَــاهُ إِنْ تَخَفَّى يَكُونُ سِرًّا جَلِيًـا

سُنَّةُ ٱلْحُبِّ مَنْعَةٌ وَصُـــدُودٌ وَاتِّخَاذُ ٱلْمُحِبِّ لَحْمًا طَرِيًّا

حُبُّهَا لَيْسَ لِلَّقَاءِ وَلَكِـــــنْ كَانَ حُبًّا مُطَهَّرًا عُذْرِيـــًّا

(١) المرجع نفسه، ص١٠٤.

(٢) المرجع نفسه، ص١١١.

لاَ أُبَالِي إِذَا تَنَاسَتْ حَدِيْثِـي فَحَدِيْثُ الْعَلِيْلِ لَيْـسَ قَوِيًّـا
لَحْظُهَا نَافِـذٌ يُنَبِّضُ قَلْبِـي فِي الْحَشَا كَانَ وَقْعُهُ سَهْمِيًّا
فَاسْأَلُوهَا بِأَنْ تُخَفِّفَ عَنِّـي عِشْتُ فِي فَخِّهَا غُلَاماً سَبِيًّا

وقد أفصح الشاعر عن حبِّه لها، وقد كان فراقها عنه مطيةً إلى نصب ولغب، كان يكنّ لها حبًا نزيهاً في سويداء قلبه، وهذا الهوى لا يعرف التشويه ولا المراوغة، ولا يزال يذكرها وإن تجافت عنه أو أفضى به إلى العلة البدنية والعقلية، فحديث المريض فعلاً لا يحتمل. وهذه المحبوبة رزقها الله جمالاً، والنظر إليها دائماً يحرك نبضات القلب، ويهز الحشايا، ويجعل الكبير أمامها صغيراً، فيقع في شراكها على غرة. ولم يتوقف الشاعر من هذا الوصف العجيب، إذ تمادى في حبه كالموج، وتدفّق كالنار، ولكن العاشق العاقل من كبح جماح نفسه، وآثر جانب الهدى والاتزان فيقول:

أُحِبُّهَا حُبًّا يَفُوقُ الْبَيَـــــانْ فَصَدُّهَا يُلْهِبُ نَارَ الْجَنَـانْ (١)
مَنْ طَلَبَ النِّعْمَةَ يَسْعَى لَهـــَا وَقَدْ يُغَطِّي الشَّوْكَ دَرْبَ الْجِنَانْ
لَا تَحْسَبُونِي رَجُلًا وَاهِنًـــــا لِهِمَّتِي تَنْقَادُ خَيْلُ الْحِـــــرَانْ
يَا مُنْيَةَ الْقَلْبِ أَقِلِّي الْقِلَـــــى فَإِنَّ فِي ذَلِكَ أَمْنَ الْحِسَـــــانْ
آثَرْتُ فِي أَمْرِكِ جَنْبَ الْهُـدَى فَإِنَّ زَيْنَ الْعَاشِـقِيْنَ اتِّـــــزَانْ
فَالْحُـبُّ يَزْدَادُ نَمَـــــــاءً إِذَا مَا نَـالَ فِي قَلْبِ الْحَبِيْبِ الْمَكَانْ
يَا ظَبْيَةً أَصْبَحْتُ صَيَّادَهَـــا أَرْعَى الْخُزَامَى فِي حُقُولِ الْأَمَانْ

عاد الشاعر يصرح بدرّتها وجمالها على غيرها من زميلاتها، إذ الحب لا يصف كنهه الواصفون إذا بلغ مع المحب منتهاه، يسدي لها معروفاً، ويبسط من أجلها كلَّ غالٍ ونفيسٍ، وقد يتهمه البسطاء بهذا الصنيع، ضعيفاً واهي العقل، وهم لا يدرون أن من يهوى المحبوب يبذل نفسه ونفيسه لينجح الأرب، وقد أنفق السابقون قبله أثمن ما يملكون فنالوا بذلك مرادهم. أما هو فلا يزال ينفق كل ما في وسعه ليحقق بمراده. العشق داءٌ ودواؤه عطيةٌ وسخاءٌ من المعشوقات من غير مطل. فمطالع القصائد هنا وهناك، ميزة من مميزاته في أبواب الشعر كله، وفي براعة الاستهلال بالذات، فجميع سباعياته في هذا الفن مطلي بهذه السمة. ومطلع القصيدة تصريح بالهوى الذي سيطر على قلب

(١) المرجع نفسه، ص١٤٧ .

الشاعر، وكأن معشوقته جنة المأوى. وشأن الحب ليس بأمر مكتوم، وإنما يزداد نماءً إذا وجد مكانًا خصباً. ونراه أيضًا في سباعية أخرى، يصف هذا الهوى العذري حينما بلغ به منتهاه، وتسري إلى فواصله سريان الدم بالجسم قائلا:

لَا اللَّيْلُ يَثْنِيْنِي وَلَا الرُّقَبَـــاءُ عَنْ زَوْرِ مَنْ أَهْوَى وَلَا ٱلْأَعْدَاءُ [١]
أَتَجَشَّمُ ٱلْأَخْطَارَ فِي أَثْنَائِـــهِ يُرْضِـــي ٱلْحَبِيْبَةَ كُلْفَةٌ وَعَنَـــاءُ
مَنْ لِي بِإِعْلَامِ ٱلْحَبِيْبَةِ أَنَّهَـــا دَاءٌ يُسَـــــقِّمُ مُهْجَتِـــي وَدَوَاءُ
مَاذَا يُغَيِّبُ وَجْهَهَا عَنْ نَاظِرِي وَيُعِيْدُ أَفْـــرَاحَ ٱلْقُلُـــوبِ لِقَـــاءُ ؟
قُولُوا لَهَا بَعْضَ التَّسَتُّرِ وَٱلْقِلَى فِي ٱلْكِبْرِيَـــاءِ تَمَـــرُّدٌ وَجَفَـــاءُ
لاَ تَرْفُضُوا شِعْرَ النَّسِيبِ فَإِنَّهُ سَلْوَى ٱلْقُلُوبِ يَنَالُهُ الشُّعَـــــــرَاءُ
اَلْحُبُّ يُخْمِرُ عَقْلَنَا وَصَوَابَنَـــا فِي أَخْذِ أَلْبَابِ ٱلْوَرَى صَهْبَـــاءُ [٢]

غلب على الشاعر الشوق فقال: إن الليل لا يمنعه ولا الحرّاس ولا الأعداء من زيارة محبوبته، وإنما يقتحم الأخطار في طلبها حتى يستميلها وتستسلم له وإلا فيتعرض إلى الداء الذي لا دواء له إلا ملاقاتها؛ ورؤيتها شفاء للقلب، وإحياءٌ من القوى الواهنة، والنسيب سلوى القلوب التائهة، ومهوى الشعراء الفحول. هذه الغزليات إن دلت على شيء، فإنما تدل على أن للشاعر أبعادًا بعيدة المدى بأحوال النساء وتصرفاتهن، إضافة إلى ما يعانيه الرجال منهن من آلام وآمال. ومن الجدير بالملاحظة، أن الشاعر المغازل، قد احتفظ بحق العرض حينما يسوق بضاعته مع هذا الفن، إذ لم يخرج عن إطاره وحدوده في جميع القصائد التي قالها في هذا الغرض، إذ ليس من دأب العلماء، والباحثان نيجيريان، غرس الخبث في عقول الناشئة، إنما يكفيهم فخراً أنهم أدلوا بدلوهم في المضمار.

علاوة على ذلك، فهذه المجموعة من الغزل، توحي إلى أن لنيجيريا فئة من الشعراء، تجاوبوا بأصداء الشعر في جميع أبوابه، وإن كانوا قليلين في الوادي، ومنهم من استنكر الغزل في بنات أفكارهم على أنه من محرمات الشرع، فتجافوا عنه على الإطلاق.

ومهما يكن من أمر، فقد أثبتنا بعض النماذج من هذا القبيل، تتسم بالجودة، والرصانة في معظم صياغتها، وإن كان الوضوح سمة متميزة لهذا الغرض، وقد لا تكون في أكثرها فكرةً جديدةً أو صورةً مبتكرةً، ولكن إذا أخذنا في الاعتبار بيئة الشاعر، ومدى ثقافته، والامكانات العلمية المتواجدة لديه،

(١) المرجع نفسه، ص ١٥١.
(٢) القصيدة من بحر الكامل.

وإسهامه فيه، لا يسعنا إلا أن نقدِّر هذه الجهود حقّ قدرها، لأنه استطاع أن يسجل مشاعره وعواطفه بنجاح، وليس عربيًا قحاً، فبيئته ليست عربيةً، وطناً، وشعباً، وحكومةً.

الخاتمة والنتائج:

والحق أن الغزل العفيف يراه علماء نيجيريا غرضاً لا بأس بترويجه إذا لم يهد إلى الضلال والغواية، ولم يعضد الفساد والفحش والمجون من قوله، لذلك، تناوله بعضهم بالقلة أو بالكثرة في دواوينهم.

- لقد توصل البحث إلى أن باب الغزل، أصبح معروفًا ومعترفًا به في أوساط أدباء نيجيريا اليوم، بينما كان في القرن التاسع عشر معدود الأصابع، خامل الذكر.
- وجود غزليات بما لا تقل عن عشر قصائد في الديوان.
- وجود غزليات الشاعر في ديوان آخر، وبالأخص، ديوانه الموسوم "بالرياض".
- نوصي شعراء نيجيريا بالتطرق إلى الترويج بهذا الغرض، إحياءً للغزل، واعترافًا بكيانه، ولكن آداب الإسلام وتعاليمه يجب أن توضع في موضع التطبيق.

المراجع

أبو بكر، علي، الثقافة العربية في نيجيريا من ١٧٥٠-١٩٦٠م، ط١، مؤسسة عبد الحفيظ- البساط، بيروت، ١٩٧٢م.

أبو بكر، عيسى ألبي، السباعيات، ط١، النهار للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٨ م.

أبو بكر، عيسى ألبي، الرياض، ط١، مطبعة ألبي الانتاجية، إلورن، نيجيريا، ٢٠٠٥م.

أبيكن، موسى عبد السلام مصطفى، "اللغة العربية في نيجيريا بين الأمس واليوم"، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، أردن، العدد (٨١)، ٢٠١١م.

أبيكن، موسى عبد السلام مصطفى، "مشكلات اللغة العربية في نيجيريا"، مجلة الفيصل الثقافية، المجلد (٤)، الرياض، ٢٠٠٨م.

الصالحي، عزمي محمد شفيق، الثقافة الأدبية، ط٣، مطبعة وزارة التربية، بغداد، ١٩٨٤م.

غلادنثي، شيخو أحمد سعيد، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ط٣، شركة العيكبان للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٨م.

غرب، طن ظوهو زاريا، محمد البخاري بن الشيخ عثمان بن فودي وشخصيته الأدبية، ط١، مطبعة غسكيا، زاريا، نيجيريا، ٢٠٠٤م.

محمد بلو، بن عثمان بن فودي، إفادة الطالبين، مخطوط.

المسلوت، عبد الحميد محمود، الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام، ط١، الجامعة الليبية، بنغازي، ١٩٧١م.

الهاشمي، أحمد، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٥م.

Abubakar, Ali, "Arabic Literature in Nigeria From 1750-1960", Beirut, First Edition, Published by Abdullhafidh's Foundation, 1972 .

Abubakar, Isa Alabi, "The Seventh Verses", Cairo, First edition, Al-Nahr Printing, publication and Circulation Press,2008.

Abubakar, Isa Alabi, AR-Riyadh, Ilorin, First Edition, Alabi Printing Production, 2005.

Abikan, Musa, A.M, "Problems of Arabic Language in Nigeria", Ar-riyad, Vol 4, Faisal Cultural House,1429H

Abikan, Musa, A. M. "Arabic Language Between Yesterday and Today, Journal of Jordan Academy of Arabic, Jordan, Vol .xxxv, No.81, 2011 .

As-Salih, S., ‘’Literary Culture‘’, Baghdad, third edition, Ministry of education, printing press,1984.

Galadanchi, S. A. S, “Movement of Arabic Language and its Literature in Nigeria, third edition, Alaikaban Printing and Distribution Company .

Garba, Dan-tsoho Zaria, “Muhammad Bukhari Bn Shaikh Uthman Bn Fodo: A critical study of his Arabic Poetry”, Zaria, first edition Gaskiya Cooperation Limited, Zaria, Nigeria.

Al-Maslut, Abdulhamid, M., “Arabic Literature Between Pre-Islamic Period and Islam”, Bengasi, first edition, Libya University,1971.

AL-Hashimi, Ahmad, “Minzanaz-zahb fi sinaatshiralarabi, Beirut, First edition,Darulalfikr for Printing Publication and Circulation, 2005 .

Muhammad Bello BnUsmanFodio, A Guiding Book for the seekers of knowledge, Manuscript .